الكتاب السادس

«التفسير العلمى للقرآن فى الميزان»

تأليف: د. أحمد عمر أبو حجر **عرض: د. حسنى حمدان حمامة**

كتاب «التفسير العلمى للقرآن فى الميزان» هو رسالة دكتوراه للمؤلف تقع فى ٥٦٣ صفحة، وصدرت عن دار قتيبة فى كتاب طبعة أولى فى عام ١٩٩١م، بدون رقم إيداع أو رقم دولى، ويشتمل على افتتاحية ومقدمة وأربعة مباحث، وستة أبواب يشتمل كلٌ منها على عدة فصول.

وهى دراسة حول مسألة التفسير العلمى من حيث نشأته وأسبابه، وقضية الإعجاز والتفسير العلمى، وأشهر من تناوله من المفسرين القدامى والمحدثين، وأشهر القائلين بالتفسير العلمى فى العصر الحديث، وكذلك أشهر المعارضين لهذه القضية قديمًا وحديثًا، ثم التفسير العلمى فى حاضره وماضيه، والقضايا التى يتركز حولها التفسير العلمى، سواء الكونية منها أو النفسية، ثم يعرض الكتاب صورًا من التفسير العلمى المردود والمقبول.

ويدون المؤلف فى خاتمة كتابه ١٠ نقاط جيدة يلحقها بالفهارس للآيات القرآنية والأحاديث النبوية، والأعلام والمصادر، والمراجع، وموضوعات الكتاب.

والكتاب مجهود محمود لتأصيل مسألة التفسير العلمى كمدخل يفيد الباحثين فى أصل المسألة.

تبدأ مقدمة الكتاب بتعريف معنى التفسير والتأويل، ثم يذكر مراحل نشأة التفسير ابتداءً من عهد النبى ﷺ، وتفسير الصحابة للقرآن، وقبل كل ذلك تفسير القرآن بالقرآن، وقد اختلف فى المقدار الذى بينه الرسول من تفسير القرآن، مع الإشارة بقول ابن عباس رضي الله عنهما: **«التفسيرعلى أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى»**، وفيما يتعلق بالصحابة يشير المؤلف إلى قول عمر رضي الله عنه: «عليكم بديوانكم لا تضلوا.. قالوا: وما ديواننا؟ قال: شعر الجاهلية.. فإن فيه تفسير كتابكم ومعانى كتابكم». واختلف العلماء أيضًا فى أقوال الصحابة فى التفسير، هل لها حكم الحديث المرفوع أم هى موقوفة عليها؟ ثم يشير إلى مدارس التفسير بمكة والمدينة والعراق.

وعن التفسير بالرأى يخلص المؤلف إلى وجود تفسير مذموم وآخر ممدوح، ويعرف المؤلف التفسير العلمى للقرآن على أنه «التفسير الذى يحاول فيه المفسر فهم عبارات القرآن فى ضوء ما أثبته العلم، والكشف عن سر من أسرار إعجازه من حيث إنه تضمن هذه المعلومات العلمية الدقيقة التى لم يعرفها البشر وقت نزول القرآن».

وفى التمهيد للباب الأول يتناول الكتاب ثلاثة عناصر هى: موقف القرآن من العلم والعلم الذى دعا إليه القرآن، وعدم التعارض بين العلم والقرآن، ويذكر قول ابن تيمية: «لا يمكن أن يكون هناك تناقض بين صحيح المنقول وصريح المعقول» وقول الشيخ المراغى: «إن حقائق العلم لا تتنافى مع القرآن أبدًا، ولكن النظريات العلمية التى لم تستقر بعد بأدلة يقينية ثابتة قد تختلف».

وعن نشأة التفسير العلمى وأسبابه يذكر المؤلف إلى أن من أسبابه: اطلاع علماء المسلمين على كثير من الثقافات التى لم ترق لهم، ومحاولة فلاسفة المسلمين التوفيق بين الفلسفة والقرآن، وتوجيه القرآن العقل إلى النظر فى ملكوت السماوات والأرض، ووسطية أمة الإسلام وخلود القرآن وصلاحيته لكل زمان ومكان.

ثم يناقش التفسير العلمى بين المؤيدين والمعارضين، فالمؤيدون يرون أن:

١ ـ القرآن الكريم قد اشتمل على كل صغيرة وكبيرة.

٢ ـ كل ما دخل تحت نص قرآنى عام يعتبر قد نص عليه القرآن.

٣ ـ القرآن حجة على العباد .

٤ ـ لا ينبغى ألا يكون إدراك إعجاز القرآن موقوفًا على فصحاء العرب ومن شاكلهم فقط .

٥ ـ القرآن يحوى الكثير من الآيات الكونية .

وتتلخص أدلة المعارضين فى حتمية فهم ألفاظ القرآن فى حدود الاستعمال الذى نزلت فيه وفق ما فهمه العرب الخلص ، ومهمة القرآن ليست علمية ، وعدم إقحام نظريات العلم على القرآن حتى لا ينشأ الصراع بين العلم والدين ، ولما فيه من تكلف فى التأويل ، وأن السلف لم يتكلم أحد منهم فى الإعجاز العلمى ، وأخيرًا فإن النظريات العلمية ليست لها صفة الدوام .

ويجب التوقف عند أقوال الدكتور/ محمد أحمد الغمراوى من أنه لا ينبغى فى فهم الآيات الكونية من القرآن الكريم أن نعدل عن الحقيقة إلى المجاز إلا إذا كانت القرائن الواضحة تمنع من حقيقة اللفظ وتحمل على مجازه ، كما لا ينبغى ألا نفسر كونيات القرآن إلا باليقين الثابت من العلم ، لا بالفروض ولا بالنظريات التى لا تزال موضع فحص وتمحيص .

ومن الصواب ألا نتجاهل الحقائق فى القرآن ، وفى الوقت نفسه لا نلتمس لكل مسألة علمية آية من كتاب الله زاعمين بذلك أنها توافق ما قال به العلم ، وأن الحقيقة العلمية إن لم يكن فى القرآن ما يؤيدها فليس فيه قطعًا ما يعارضها ، وأن القرآن فى تناوله للحقائق العلمية ليس كتابًا فى الكيمياء أو الهندسة أو غيرها ، وإنما يقرر حقيقة الألوهية الحقة للذى خلق الكون ، والحق كل الحق هو مذهب الوسط الذى لا إفراط فيه ولا تفريط ؛ لأنه ما دام القرآن كلام الله والكون خلق الله ، فلا بد أن تنسجم آيات القرآن مع حقائق العلم .

وعن قصة الإعجاز والتفسير العلمى يجب القول أولاً بأن القرآن هو معجزة النبى محمد ﷺ ، ويرى بعض العلماء فى القديم والحديث أن من وجوه الإعجاز فى القرآن الكريم اشتماله على العلوم والمعارف التى لم يعدها العرب ولا علماء أهل الكتاب ، ولم يشتمل عليها كتاب من قبل ، **وأن الإعجاز العلمى فى عصر العلم هو الذى يفحم أعداء الإسلام** .

وبالرغم من أهمية قضية الإعجاز فى عصر العلم، فهناك فريق يقول: «لقد عاش القرآن بين المسلمين يفعل فعله فى النفوس، ولا أحد يعرف هذه الحقائق العلمية، وسيبقى كذلك يفعل فعله فى النفوس، فالأمر لا يتطلب مسألة التفسير العلمى للقرآن.

ويسجل المؤلف ملاحظتين فى أن الإعجاز باعتباره مقرونًا بالتحدى لا يتحقق على وجهه الأكمل إلا فى الإعجاز البيانى، والدقة فى الأداء القرآنى الذى يتفق مع ما اكتشفه ويكتشفه العلم من حقائق، بحيث لا يوجد تناقض بينهما **هو منهج قرآنى** متناسق.

ويتحدث الباب الثانى عن أشهر من تناول التفسير العلمى قديمًا وحديثًا..

فقديمًا قال الإمام أبو حامد الغزالى: لا يعرف كمال معنى قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الإِنسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ**﴾ (الانفطار: ٦) إلا من عرف تشريح الأعضاء من الإنسان، وإذا كان الغزالى ومن قبله وضعوا الأسس النظرية للتفسير العلمى، فإن الرازى قد طبق ذلك عمليًا.

ويرى المؤلف من أشهر القائلين بالتفسير العلمى الشيخ محمد عبده[1]، والشيخ طنطاوى جوهرى، والسيد/ عبد الرحمن الكواكبى، والدكتور/ عبد العزيز إسماعيل والأستاذ/ حنفى أحمد.

ويلاحظ أن الشيخ/ طنطاوى جوهرى حينما وقف على تفسير «رب العالمين» فى فاتحة الكتاب قد حول القرآن إلى دائرة معارف، ويرى منتقدوه أن كتابه «الجواهر فى تفسير القرآن الكريم» فيه كل شىء إلا التفسير.

ومع تفسيرات الكواكبى المعتبرة يؤخذ عليه تأييده لنظرية النشوء والارتقاء بحسن نية حتى يجارى العلم السائد حيث ذر «وحققوا أن العالم العضوى ـ ومنه الإنسان ـ ترقى من الجماد، والقرآن يقول: ﴿**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ مِن سُلالَةٍ مِّن طِينٍ**﴾ (المؤمنون: ١٢).

---

(١) مع أن تفسيرات الشيخ محمد عبده الكونية تفسيرات معتبرة حول بناء السماء والجاذبية، إلا فى تفسيره للآية الثالثة من سورة الفيل بأنها من جنس البعوض، وأن هذا الحيوان الذى يسمى «بالميكروب» من هذا الطير، ولا نرى مغالاة فى تفسيرات الشيخ حول تسجير البحاروانشقاق السماء وبناء السماء!!.

وللأستاذ/ حنفى أحمد تفسيرات رائعة حول ضوء النجوم وحركتها وحجارة قوم لوط، ومن الأشياء الغريبة فى تفسيرات الدكتور/ عبد الرازق نوفل تقريره بأن البروتين الحيوانى خير من البروتين النباتى الذى هو أدنى، حيث يقول الحق مخاطبًا بنى إسرائيل: ﴿**وَإِذْ قُلْتُمْ يَا مُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ مِن بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ الَّذِي هُوَ أَدْنَىٰ بِالَّذِي هُوَ خَيْرٌ اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ الْحَقِّ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ**﴾ (البقرة: ٦١) ومن تفسيراته الجانحة تفسير قوله تعالى: ﴿**هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَت دَّعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ**﴾ (الأعراف: ١٨٩) بأن النفس الواحدة هى البروتين[1] وأن زوجها هو الإليكترون.

ويعد المؤلف من أشهر القائلين بالتفسير العلمى باعتدال الشيخ/ محمد نجيب المطيعى، والشيخ/ عبد الحميد بن باديس، والشيخ/ محمد مصطفى المراغى والشيخ/ محمد عبد الله دراز، والدكتور/ الغمراوى، والشيخ/ محمد الطاهر بن عاشور، والدكتور/ الفندى، ومن روائع الشيخ المطيعى إشارته إلى دوران الأرض، وحركة الجبال فى الدنيا وكذلك تفسير الشيخ/ عبد الحميد بن باديس حول آية الليل وآية النهار، وكذلك تفسيرات الشيخ/ المراغى حول عمد السماوات ورواسى الأرض، وأنواع الجبال. ولا يرى/ الشيخ دراز مانعًا من التفسير العلمى ما دام بعيدًا عن المبالغة..

ومن أحسن التفسيرات العلمية للآيات القرآنية تفسيرات الدكتور/ الغمراوى حول حركة الجبال وظلمة السماء، وفتق الرتق، ويذكر الدكتور/ الفندى أن من مزايا القرآن الفريدة أن بعض آياته تحتمل العديد من التفسيرات السليمة، مثل الآية التى تتحدث عن

(١) يترجم الدكتور/ الغمراوى البروتون بالأبيب والإليكترون بالكهيرب.

تلقيح الرياح (الرياح لواقح) وتفسيرات الفندى بالظواهر الجوية والفلكية، وطريقة تكوين جبال البَرَد.

والآن نأتى إلى الإشارة بأشهر المعارضين للتفسير العلمى قديمًا وحديثًا، وهذا هو موضوع الباب الثالث من الكتاب.

وعلى رأس المعارضين قديمًا يأتى **الإمام الشاطبى** الذى يرى أنه لا يجوز أن يبحث أحد فى الآيات الكونية إلا فى حدود علوم العرب وقت نزول القرآن، ويرى المؤلف أن هذا تضييق وحجر لا تستسيغه ولا تقره الشريعة، كما لا يتفق المؤلف مع الشاطبى فى آرائه حول أمية الشريعة وأمية الرسول ﷺ وقصر العلوم على ما عند العرب فقط، مع أنه لم يكن لهم من العلم حظ كبير.

والإمام الشاطبى يلوم من أضافوا للقرآن كل علوم الأولين والآخرين، ويستدل على ذلك بأن السلف الصالح ـ من الصحابة والتابعين ومن يليهم ـ كانوا أعرف بالقرآن وبعلومه وما أودع فيه، ولم يبلغنا أن تكلم أحد منهم فى شىء من هذا..

ويعتبر المؤلف أن من أشهر المعارضين للتفسير العلمى فى العصر الحديث الشيخ العلامة/ محمد رشيد رضا، والأستاذ/ أمين الخولى، والأستاذ/ عباس محمود العقاد، ووحيد الدين خان، وسيد قطب، والدكتور الغمراوى[1].

ويقول الشيخ/ محمد رشيد رضا: إن أكثر ما كتب فى التفسير العلمى يشغل قارئ القرآن عن مقاصد القرآن، ويقول الشيخ/ شلتوت: «فلندع للقرآن عظمته، ونحفظ عليه قدسيته ومهابته، وحسبنا أن القرآن لم يصادم ولن يصادم حقيقة من حقائق العلوم وتطمئن إليها العقول. ويرى الأستاذ/ أمين الخولى: أن النوايا الطيبة التى تحاول جعل الارتباط بين الدين والعلم إعجازًا للقرآن ربما كان ضرره أكثر من نفعه، وحسب كتاب الدين أنه لا يصادم الحقائق العلمية، ويؤكد العقاد على أننا مطالبون بفهم القرآن الكريم

(١) غريب أن يضم المؤلف الدكتور/ الغمراوى ضمن المعارضين للتفسير العلمى، مع أنى أرى أنه شيخ ورائد مدرسة التفسير العلمى، ويرجع إلى كتابه «الإسلام فى عصر العلم»، وكذلك وحيد الدين خان فى كتابه «الإسلام يتحدى».

والاستفادة من علوم العصر الذى نعيشه، ولكن من الخطأ أن نتلقى كل نظرية علمية على أنها حقيقة دائمة نحملها على معانى القرآن؛ لأن النظريات العلمية لا تثبت على قرار بين جيل وجيل، ويقول وحيد الدين خان: «إنى على يقين راسخ بأن الكشوف العلمية سوف تكون أكثر إيضاحًا لإشارات القرآن»، ولوحيد تفسيرات جيدة فى فهم رواسى الجبال، واتزان الأرض ومرج البحرين، وعمد السماء ودوران الأرض.. وغيرها.

وللدكتور/ الغمراوى تفسيرات عصرية دقيقة حول مفهوم العالمين، وجريان الشمس ودوران الأرض وكرويتها وسير الجبال.

ويرى الأستاذ/ محمد عزة دروزة: أن محاولات التفسير العلمى ما هى إلا إخراج القرآن عن هدفه الوعظى والتذكيرى، وتعريض له للتعديل والجرح اللذين يرافقان عادة الأبحاث العلمية على غير طائل ولا ضرورة، والشيخ/ محمد عبد العظيم الزرقانى يقول: «إن القرآن كتاب هداية وإعجاز، وعلى هذا فلا يليق أن نتجاوز به حدود الهداية والإعجاز حتى إذا ذكر فيه شىء من الكونيات».

ومع أن **الشهيد سيد قطب لا ينكر الانتفاع بما يكشفه العلم حول الكون** والحياة، إلا أنه يعجب لسذاجة المتحمسين لهذا القرآن الذين يحاولون أن يضيفوا إليه ما ليس منه، وأن يستخرجوا منه جزئيات فى علوم الطب والكيمياء والفلك وما إليها.

ويصف الدكتور/ على عبد الواحد التفسير العلمى بأنه خيانة، ويتفق معه الأستاذ/ إسماعيل مظهر فى أن التفسير العلمى بدعة ضارة غير نافعة.

ونتوقف الآن عند القضايا التى تركز حولها التفسير العلمى من القضايا الكونية والقضايا النفسية..

أولاً: القضايا الكونية، وتشمل القضايا الآتية:

- أصل الكون.
- شكل الأرض.
- قضية السماوات السبع فى القرآن الكريم.

- قضية الحياة على الكواكب الأخرى.

- قضية أصل الإنسان.

فعن أصل الكون تدرجت المعارف حول أصل الكون من الماء إلى الفراغ اللامتناهى إلى الهواء إلى النار إلى السديم، واختلفت النظريات حول مراحل نشأة الأرض والسماوات ابتداءً من فتق الرتق حتى تكوين النجوم والكواكب والمجرات.

ومن المسائل التى تناولها التفسير العلمى **شكل الأرض** من حيث كرويتها ودورانها استرشادًا بدحو الأرض وتكور الليل والنهار، وعدم الاضطراب وإلقاء الرواسى، وعن السماوات السبع فى القرآن الكريم دار التفسير العلمى حول معنى كلمة السماء واختلف فى **تفسير السماوات السبع** بالسيارات فى المنظومة الشمسية أو مداراتها ولم يستطع العلم تحديد مفهوم دقيق للسماوات السبع، ومع تأكيد القرآن الكريم على أن عددها سبع، وعليه فالواجب على المسلم أن يثبت السماء كما أثبتها القرآن، ويشير المؤلف إلى أنه لم يرد فى القرآن دلالة صريحة على عدم إمكان الوصول إلى القمر أو غيره من الكواكب.

ومن القضايا التى بحثت فى التفسير العلمى **قضية الحياة** على الكواكب الأخرى غير الأرض، وقد أسفرت نتائج البحث فى علوم الفضاء على أنه من المحتمل أن تكون بعض الكواكب دارًا للأحياء، وبعضها لا تسمح ظروفه بوجود حياة، أى أنه ليس من الغريب أن تكون بعض الأجرام السماوية مسكونة وعامرة بالأحياء، بل الغريب ألا تكون كذلك، وإن كان العلماء لم يتوصلوا بوسائلهم العلمية الحاضرة إلى مشاهدة هذه الأحياء.

ويقول عدد من المفسرين: إن هناك كثيرًا من الآيات القرآنية التى تشير إلى أن فى السماوات حياة وأحياء غير الملائكة، ولعل أصرح آية فى هذا الموضوع قوله تعالى: ﴿**وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ**﴾ (الشورى: ٢٩). هذا وقد اختلف المفسرون فى كون الدواب فى الأرض لا غير أم فى السماوات والأرض، وللعلماء لطائف فى قوله تعالى: ﴿**وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ**

﴿إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ﴾ حيث تشير الآية إلى إمكانية اتصال أهل الأرض بسكان الكواكب، أم أن المقصود الجمع يوم القيامة للعرض والحساب؟

والقضية الخامسة التى تناولها التفسير العلمى هى **قضية أصل الإنسان** . .

والإنسان مخلوق من التراب، حيث قرر القرآن أن آدم عليه السلام خلق من تراب، ومن طين، ومن حمأ مسنون، ومن صلصال كالفخار، وكلها راجعة إلى التراب، وفى الوقت الذى أشار القرآن إلى مراحل تطور خلق الإنسان طوراً بعد طور لم يشر إطلاقًا إلى تحول الإنسان من نوع إلى نوع آخر!!

ومن المؤسف حقًا أن تلاقى آراء بعض المفكرين الإسلاميين مثل: ابن خلدون مع نظرية دارون فى بعض الجوانب، ويكفى أن تمعن الفهم فى نص كتب فى مقدمة ابن خلدون «ثم انظر إلى عالم التكوين كيف ابتدأ من المعادن، ثم النبات، ثم الحيوان، آخر أفق المعادن متصل بأول أفق النبات مثل الحشائش وما لا بذور له، وآخر أفق النبات مثل الكرم والنخل متصل بأول أفق الحيوان مثل الحلزون والصدف، ولم يوجد لهما إلا قوة اللمس فقط، ومعنى الاتصال فى هذه المكونات أن آخر أفق منها مستعد بالاستعداد القريب أن يصير أول أفق الذى بعده، واتسع عالم الحيوان وتعددت أنواعه، وانتهى فى تدريج التكوين إلى الإنسان صاحب الفكر والروية. اهـ.».

وقد تصدى للرد على مذهب دارون فى النشوء والارتقاء علماء الدين والعلوم الأساسية. ومن أروع ما قيل قول قائل: «هل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان ألوفًا من السنين ولا يولد مولود حتى يختن، وإلى الآن لم يولد واحد منهم مختونًا إلا لإعجاز، ولا توجد حلقات وسطى بين أنواع الكائنات حديثها وقديمها إلا فى رءوس القائلين بوجودها» إن إنكار النظرية لا يعنى عدم وجود مدافعين عنها.

ثانيًا: القضايا النفسية

جاء القرآن بما يمكن أن يعتبر القواعد الأساسية لعلم النفس؛ حيث سلك منهجًا لتهذيب النفس، وهو سبيل التدرج وعدم المفاجأة، وحوى تفصيلاً لمعظم الأصول

النفسية التى يصدر عنها سلوك الإنسان، وزود النفس بحارس أمين سماه العلماء بالرقيب، ووضع طريقًا لإعلاء النفس والتسامى بها؛ **فهو يدعو إلى إشباع الغرائز، ولكن بطريقة مشروعة، وفى غير مبالغة وإسراف، وتحدث عن عذاب الضمير ومعاناة** الشعور بالذنب فى قضية الثلاثة الذين خلفوا.

ولا تخلو من بحوث السابقين إشارات عن التحليل النفسى لبعض ما ورد فى القرآن الكريم، وأيضًا توجد إشارات نفسية وردت فى جهود المحدثين، مثل آراء الأستاذ/ عباس العقاد عن أعراض مرض البارانويا فى الشعب اليهودى، وكذلك الربط بين الإيحاء النفسى والتكرار، وتعليل دفوع القَسَم القرآنى فى ابتداء السور، وأثر ذلك على النفس.

ويتناول الباب السادس: (التفسير العلمى بين المنهج والتطبيق) ويقع فى ثلاثة فصول:

الفصل الأول: صور من التفسير العلمى المردود.

الفصل الثانى: صور من التفسير العلمى المقبول.

الفصل الثالث: الطريقة المثلى للاستفادة من مقررات العلم فى توسيع مدلول النص القرآنى.

وفى الفصل الأول يورد المؤلف صورًا من التفسير العلمى المردود..

ومن الأمثلة التى يسوقها الكاتب على التفسيرات المغلوطة من وجهة نظره:

١ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لا تَنفُذُونَ إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**﴾ [الرحمن: ٣٣]. بما توصل إليه العلم من غزو الفضاء؛ لأن التعبير بقوله ﴿**إِنِ اسْتَطَعْتُمْ**﴾ يفيد التحدى والتعجيز، ولفظ ﴿**تَنفُذُوا**﴾ يفيد مجاوزة جوانب السماء والأرض إلى ما بعدها، وهو أمر غير ممكن لهم، والسلطان من معانيه القدرة.

٢ ـ تفسير الدابة بالأقمار الصناعية فى قوله تعالى: ﴿**وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الأَرْضِ**﴾ (النمل: ٨٢).

٣ ـ تفسير الغثاء الأحوى بالفحم الحجرى فى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ (الأعلى: ٤، ٥).

٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ (المرسلات: ١ ـ ٧) بالطائرات الحربية التى تقصف بقنابلها وتنشر المنشورات وتفرق بين الكتائب، وتلقى عذراً عما بدر منها فى منشورات.

٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: ١ ـ ٤] باستخراج البترول والغاز.

٦ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ (٩) وَلَا يَسْأَلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا (١٠) يُبَصَّرُونَهُمْ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ (١١) وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ (١٣) وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ (١٤) كَلَّا إِنَّهَا لَظَىٰ (١٥) نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ (١٦) تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ (١٧) وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ﴾ (المعارج: ٨ ـ ١٨) بمظاهر الحرب الحديثة.

٧ ـ ومنه تفسير (الميكروبات) بالملائكة.

٨ ـ معنى نقص الأرض من أطرافها: أى نقص أطراف الأرض عند القطبين وانبعاجها عند خط الاستواء، أو نقص غازاتها أو نقص مواردها الطبيعية، فى حين أن المقصود نقص أرض الكفار عن طريق زيادة أرض الإيمان[1].

ومن صور التفسير العلمى المقبول يسوق المؤلف بعضًا من التفسيرات التى يراها مقبولة ويورد منها:

١ ـ تفسير الدكتور/ الغمراوى حول قوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ

(١) ثبت علميًا أن الأرض لها أطراف هى حواف قطع الأرض، وأنها تنقص فعلاً عند الحواف التى تتلاشى عندها الأطراف.

﴿السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ﴾ (الحجر : ٢٢). حيث ذكر أن التلقيح هنا بين قطيرات وقطيرات، أو بين سحاب وسحاب، لا بين زهر وزهر، أو نبات ونبات، فالآيات التى ذكرت فيها المعانى تلك تربط دائمًا بين إثارة السحب وهطول الأمطار، وإرسال الرياح، ثم يأتى تفصيل ذلك فى سورة النور فى الآية رقم ٤٣ حول تأليف السحابة.

٢ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ﴾ (الواقعة: ٧٠). فى ضوء ما يعرف بظاهرة الأمطار الحمضية التى تحول الماء العذب إلى ماء حمضى.

٣ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِي بُطُونِهِ مِن بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِّلشَّارِبِينَ﴾ (النحل: ٦٦) حيث يتحول جزء من الغذاء إلى الدم الذى يذهب إلى ضرع الحيوان حيث يغذى الغدد اللبنية، أما الجزء الآخر من الغذاء فيتحول إلى الفرث، أى أن الله شطر الطعام شطرين هما الدم والفرث، وأخرج من بينهما لبنًا خالصًا.

٤ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ﴾ (الأنعام: ١٢٥)، حيث أثبت العلم أن الصعود فى الجو يصحبه ـ دون شك ـ نقص فى الضغط الجوى وفى كميات الأكسجين بمعدلات سريعة تصل إلى حالة الاختناق.

٥ ـ تفسير قوله تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن لَّن نَّجْمَعَ عِظَامَهُ ۝٣ بَلَىٰ قَادِرِينَ عَلَىٰ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ (القيامة: ٣، ٤) فتسوية البنان هى بصمة تحقيق الشخصية التى تختلف من إنسان إلى إنسان.

٦ ـ تقديم السمع فى آيات القرآن الكريم، حيث تثبت الحقائق العلمية أن حاسة السمع تؤدى مهمتها أولاً، وحاسة البصر تؤدى مهمتها خلال عشرة أيام من ولادة الجنين، ومن جانب آخر فإن حاسة البصر لا تبلغ حاسة السمع فى الشمول واتساع

المدى. ويؤكد القول الأخير حينما يذكر القرآن السمع بلفظ الإفراد والبصر بلفظ الجمع، فالسمع يكاد يكون واحداً، بخلاف البصر فإنه يتعدد بتعدد أحواله.

٧ ـ حكمة تحريم الميتة والدم ولحم الخنزير فى المنظور العلمى: فموت الحيوان يؤدى إلى احتباس الدم فى عروقه ويتعفن، ويحصل من أكله فساد عظيم، وفى حالة المنخنقة تتراكم جميع الإفرازات السامة بجسمها وتسبب التسمم عند أكلها. والسبب فى تحريم أكل الدم هو عسر هضمه وتعفنه واحتواؤه حينئذ على الجراثيم الضارة، كما أن أكل لحم الخنزير يسبب مرض الدودة الشريطية التى تصيب الإنسان.

٨ ـ حكمة تحريم الخمر، إلى جانب إذهابها للعقل؛ لها أضرارها الصحية منها إفساد المعدة، وفقد الشهية للطعام، ومرض الكبد، والكلى وداء السل، وتؤدى الخمر إلى سرعة نبض القلب وانخفاض درجة حرارة الجسم، وهى تضعف الجسم بصفة عامة..

٩ ـ المحيض وحكمة النهى عن القرب: أقر القرآن أن المحيض أذى، وأمر باعتزال النساء فيه، حيث أثبت العلم أن الاختلاط الجنسى فى فترة المحيض يضر بالمرأة أكبر ضرر، وهناك ضرر بالغ بالرجل، واغتسال المرأة بعد انتهاء فترة الحيض ضرورة طبية ونفسية.

وعن الطريقة المثلى فى الاستفادة من مقررات العلم فى توسيع مدلول النص القرآنى يضع المؤلف خطوطًا عامة للاستفادة من العلم فى إيضاح حقائق القرآن، وهى:

١ ـ التمسك بالنص القرآنى ومدلول اللغة دون تجاوزه إلى مفاهيم هى فى الواقع غريبة عنه ودخيلة عليه، حتى لا نخرج به عن الهدف الذى أنزل من أجله.

٢ ـ توافق المعنى المراد إثباته مع الآيات الأخرى الواردة فى نفس الموضوع.

٣ ـ ملاحظة سياق الآية أو الآيات بحيث لا تقطع الآية عن سابقها ولاحقها من الآيات وتفسر وحدها.

٤ ـ عند التطبيق وفق هذه المبادئ تذكر الحقائق العلمية بهدف تقرير عظمة القدرة الإلهية.

٥ ـ النظر فى تفسير الآيات الكونية يجب أن يتجه أولاً إلى تبيين هداية القرآن تبيينًا علميًا، لا على أساس أن تجعل النظريات العلمية هى تفسير الآيات القرآنية.

ولك أن تتأمل الصفات العظيمة التى **وضعها الله فى كوكب الأرض** فى دورانها وغلافها الجوى وأغلفتها الداخلية، وجاذبيتها وحجمها، وموضعها فى المجموعة الشمسية، وتوازن محتوياتها لتشهد أن الله قد خلق كل شىء بقدر، **ثم تنظر إلى داخل النفس البشرية** وفى جسد الإنسان وخلاياه وأجهزته المختلفة لتقر بعظمة الخالق، ففى الأذن مائة ألف خلية سمعية، والعين تحتوى على مائة وثلاثين مليونًا من مستقبلات الضوء، وصدق الله العظيم فى قوله تعالى: ﴿**قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ**﴾ (فصلت: ٥٢).

وفى خاتمة الكتاب يعرف المؤلف التفسير العلمى بأن نطبق ما قال به العلم على ما جاء فى القرآن الكريم لإثبات إعجاز القرآن، وإثبات عدم التناقض بين الدين والعلم، وأنه ما هو إلا فهم للآية أو الآيات لوجه من وجوه الدلالة على ضوء ما أثبته العلم. وأن القرآن هو **كتاب هداية أولاً وأخيرًا، وليس كتاب علم على غرار كتب الكيمياء والطب**.. وغيرها، وينبه بشدة على ضرورة عدم قصر النص القرآنى على كشف علمى قابل للخطأ والصواب والتعديل والتبديل، فكل ما يستفاد من الكشوف العلمية هو توسيع مدلول الآيات الكونية فى القرآن الكريم كلما أثبت العلم جديدًا، وليس بالقرآن ما يخالف العلم بحال من الأحوال، وما يبدو من ذلك لبعض الناس **فهو ناتج من خطأ فى فهم النص القرآنى أو من خطأ فى المعرفة العلمية**، كما يجب على الباحثين الابتعاد فى تفسير النص القرآنى عن البيانات الواهية المغايرة للعقل، المتعارضة مع قوانين العلم.

لا سبيل إلى الكشف عن خلود القرآن وشموله غير طريق استلهامه على الدوام والاهتداء بهديه، والتأمل فيه لاستخلاص الجديد من الفوائد، والتأكد من أن الذى يتغير ويتطور هو عقل الإنسان، ولا مبدل لكلمات الله.

***